مواطن التمدُّن وتقدم الانسان

لجناب الاديب محمد افندي ابو عز الدين(١)

للعوامل الطبيعيَّة والفواعل الخارجيَّة شأن خطير في تقدُّم الانسان وما بطاح النيل والفرات ودجلة والكنج والمونغو وغيرها من الانهر الكبيرة الاَّ شهود عدل توَّيد ما لها من التأثير. والراجح ان كثرة تأمل الانسان في غزارة مياهها حداهُ على استنباط الحيل والتدابير للانتفاع منها فدلتهُ فطنتهُ على ان يبني الجسور ويحفر الترع ويحول منها جداول تنساب في الاراضي الواسعة التي تحفُّ بها فتروِيها و بهذا الريّ مع طيب الاقليم جادت بخيران حدَّث عنها ولا حرج. وبما انتهى الينا من تقارير المؤرخين القدماء مع انضمامها الى الآثار المكتشفة حديثًا اعظم مقنع على قدم التمدن في تلك الامصار ووفرة اسبابهِ ولاسيما في المدن العظيمة العامرة حيثما بذخ الناس في اللباس وتفننوا في ازيائهِ واستجادوا فرش المنازل واودعوها الآنية البديعة والتحف الباهرة واعدوا كل ما يقتضيهِ الرفاه و يتطلبهُ الترَف وفاخروا ابناء العصر الحالي في حسن التعامل وضارعوهم في مسامراتهم وضاهوهم في اجتماعاتهم

ولما تبلج فجر العمران في مصر والهند كانت اقوال الكهَّان نافذة لا رادَّ لها ولاسيما في الهند وكان من عوائدهم ايامئذٍ ان كل طائفة انفردت بحرفة معينة يتوارثها الخلف عن السلف وهذه العوائد ادَّت الى تفريقهم طبقات متفاوتة في المراتب و بالنظر الى نفوذ الكهنة اكرهوا كل فرقة على التزام حرفة اسلافها وحظروا عليها التشوُّف الى احتراف غيرها فجاروا ما استطاعوا على الطبقات المنحطة وامتهنوها اما الصينيون فقد انفوا من هذه العوائد وابوا الرضوخ لاحكامها فنبذوها وقرُّوا على ان لا امتيازات موروثة وان الكل احرار تحت حماية الدولة وفتحوا ابواب العلم لكل فردٍ منهم بلا امتياز

وقد تعمق الهنود في بعض المباحث العقليَّة فجحث ذوو الرتب الرفيعة عن اسرار الحيوات واباطيل الحياة وغرور الانسان في هذه الدنيا الى غير ذلك من المباحث السامية يرع كهنة المصريين والبابليين في علم الهيئة على انهم لم يتفننوا جميعًا الى علم الميكانيكيات عدود من مميزات العصر الحالي مع شدة الافتقار اليهِ ايامئذٍ ولو استنفدوا الجهد في معرفة ادوات لاحسنوا عملاً وقللوا بهِ جور ارباب السدد واعتسافهم فيما شادوهُ من البنايات فيمة وذلك بما يتوفر لدى المسودين من الادوات التي تخفف ثقل الاحمال وشاق الاعمال.

(١) من خطبة تلاها في جمعية (تجديد الاخاء) في مدرسة برمانا (بلبنان)

ومن يتأمل اهرام مصر والمكسيك وغيرها تدهشهُ فخامتها على انهُ اذا وقف الى هذه الاهرام امتلأت عينهُ من الروعة والطول ووقع في نسيان الفراعنة الذين نصبوها كانوا ضخام السلطة عظام الصول وتتلهم جبابرة ظلموا الرعيَّة فيما آتاهم الله من الملك فاستهلكوا العباد في مشاق لا فائدة منها ولا طائل تحتها الاَّ ان تنطق بظلمهم على ممر الازمان او تتلهم ملوكًا قد كثر المال بين ايديهم فما انفقوا في البر والاحسان ولا انفقوا بهِ من بلوغ اغراض العمران بل رفعوا بهِ جبالاً من الحجارة والصوان . وليس في احد الوجهين منصرف عن لوم بهم او لوم عليهم فان انفقوا المال في غير سبيلهِ فقد اسرفوا بالملك وان قبضوا الاجور عن العملة بعد ان انهكوا ابدانهم بالعنت الشديد فقد ضلوا سواء السبيل و باعوا رعاياهم بابخس الاثمان

ولا ندري اي نحو نحاهُ القدماء هل اخذوا مأخذ الصينيين باتباع العوائد القديمة وسنن السلف او سلكوا منهاج الهنود بان رضخوا الى احكام رموزهم الدالة على تفاوت في البشر وتباين في الذاتيات لابنائهم من الآلهة من شريف واشرف او انهم حذوا مثال المصريين والفرس فاتخذوا كلام الملوك دستورًا وحسبوهُ منزلاً لاعتقادهم انهم نواب الله على الارض

ولم يحصر بنو سام في بقاع مخصوصة بعد ما استحل العمران في بابل وما بين النهرين وفينيقيَّة بل طافوا اكثر المعمور وابحر الفينيقيون في سفنهم يتجرون في جزر البحر المتوسط وشواطئهِ ثم عبروا بوغاز جبل طارق وجاوزوهُ الى غربي اوربا وبعد ان انحطت فينيقيَّة وتقوَّضت اركان عزها وتداعت صروح مجدها دانت الى سلطة قرطاجنة سلطانة غربي البحر المتوسط وشواطئهِ ثم اشتبكت هذه مع رومية بحروب اسفرت عن فوز الرومان وظفرهم وبهذه الغلبة استظهر الاوربيون على الساميين ورست قواعد مجدهم حتَّى ان العرب مع انتصاراتهم المتوالية بعدئذٍ لم يقووا على استعادة ما فقدهُ الساميون من قبل

ولم يتقرَّر بعد قطعيًا ان كان معاصرونا من سكان اوربا انسال سكانها الاصليين ام دخلاء فيها ولكن يستدل من فلسفة اللغات ان سكان اوربا قاطبةً الاَّ فئة قليلة مشتقون من الاريين الذين احتلوا غربي جبال حملايا منذ نيف واربعة آلاف سنة ومن هؤلاء انشق فخذان الاول استوطن البلاد المجاورة الهند والسند قبل التاريخ المسيحي بالف وخمسمائة سنة والآخر توطن بجبال ايران وانجادها . اما كيفيَّة مهاجرتهم الى الغرب وتاريخها فلم تزل مجهولة اذ ان بقايا لغتهم وعوائدهم قد ترامت الى الاضمحلال وتلاهم الجرمانيون

مهاجرين الى اواسط اوربا . اما اليونان والرومان وهم من الآريين ايضاً فكانوا قد انتشروا في ضواحي الارخبيل الروسي وتبوأوا شواطئ البحر الاسود وما اليها

وسار اليونان في اول امرهم الهوينا ولم يتقدّموا تقدماً يذكر لتشتتهم في البلاد وانقطاع نظامهم وما انتظم شملهم حتّى داهمهم الاجانب فضموا اذ ذاك الفنهم وناجزوا اعداءهم وظفروا بهم وعادوا من ميادين النزال ناشطين الى العمران راغبين في التمدن ولم تكن الاسباب الطبيعيّة المهدة للعمران متوفرة لديهم فاعتمدوا الجد والثبات في سعيهم مستفرغين الوسع في سبيل الارتقاء غير مبالين بما اعترضهم من الموانع الشرعيّة ولذا تقدموا تقدّماً سريعاً وافادوا بعلمهم العالم باسره ولم ينحصروا في مباحثهم على معرفة الامور بظواهرها بل بحثوا عن عللها ايضاً وبجهادهم هذا نهيأت لهم الوسائل الى مبادلة الافكار وانتقاد العوائد القديمة فرفضوا منها ما غاير اخلاقهم وشؤونهم واحتفظوا على ما وافقها ولم يغادروا امراً الاّ بحثوا عن اسبابه ولا حقيقة جليلة كانت ام حقيرة الاّ امعنوا النظر فيها ولا قولاً الاّ محصوهُ ولما كملت امتحاناتهم جمعوا ما ادركوهُ من الحقائق والفوا منها علماً ذا ضوابط وقواعد كليّة وعنهم اخذ الاوربيون كافةً وبهم اقتدوا . ثم توغلوا في التحقيق والتدقيق الى ان وضعوا مبادئ المنطق والعلوم الرياضيّة واشتغلوا في فن الاقتصاد ولاسيما في تدبير المنزل ودرسوا جسم الانسان وكيفيّة تركيب اعضائهِ ووظائفها واضطلعوا من المسائل الادبيّة وسمت هممهم وجنحت الى تصنيف قواعد لها وليس اذا بعجيب اذا قادهم التعمق في البحث الى التفريق بين الامور العالميّة والدينيّة تفريقاً يأمنون معهُ العثار ووبالة العاقبة

وعلى اثر ذلك رماهم الدهر بسهام الضرس واستعرت حرب شديدة ما خبت نارها حتّى ظفروا باعدائهم فاخلدوا بعدئذٍ الى الدعة واستهدوا الراحة نحواً من عشرين عاماً بلغوا في اثنائها منزلة رفيعة من التقدم واهدوا من آثار البراعة ما تتحطر بهِ الاندية في كل زمان على ان لكل شيء اذا ما تمّ نقصان فما كادت تلك الفترة تنقضي حتّى نشبت بين القوم الحروب وشابعت الثورات وكثر سفك الدماء والانغماس في المعاصي وما بين معترك هذه النكبات اضحت حقوق الافراد كريشةٍ في مهب الرياح ولولا ما تركوهُ للخلف من الآثار الجيدة والعلوم المفيدة لاسودت تلك الافعال السيئة الصفحات التي تبيضت متلألئةً بمعارفهم .

ولما قلت ثقتهم في كبار رجالهم وغلب الشقاق بينهم وفسدت آدابهم واستولى الفجور من غير نكير وسلب الامن خوى نجمهم وثل عرشهم والبسهم الله الذلّ بذنوبهم فسلط عليهم ابتاليا فظفرت بهم غنيمة باردة

وكان الرومان وقتئذٍ في مفتتح امرهم ومقتبل عمرهم ولما استتبَّ لهم الامر باخضاع اطراف بلادهم وتوطّ سلطة فرضجة وسيادتها في اوربا على ما مرَّ آنفًا تحرك في نفوسهم الميل الى الفتوحات فباشروها والسعد حليفهم والنصر رفيقهم الى ان استولوا على معظم الدنيا المعمورة واطيبها تربةً واوفرها ثروةً ثم جمعوا شتات الامم وحملوهم على الالفة فتيسر لهم ضمهم كلمة واحدة وبه كان استمرار ملكهم وقد كان تعسر على اليونان هذا الامر اي تأليف الامم فحقَّ لهم ان يفاخروهم به ويطاولوهم . ومن تأمَّل مليًا في كيفيَّة سير الامتين يعلم الفرق بينهما فاليونان افتتحوا بسرعة بلدانًا كثيرة واسعة الاطراف وحالما تمت لهم الغلبة قطنوا ثمارها قبلما اينعت ومَن استعجل الشيء قبل اوانهِ عوقب بحرمانهِ فانسلخت منهم البلاد التي افتتحوا وقد كان من عزم ذي القرنين انشاء دولة تملك المشرق والمغرب فعاجلته المنيَّة قبل ان يتم له الامر ولم يبقَ من آثارهِ في الشرق سوى ما يتحدث بهِ الرحل على طريق الحكاية عن بسالتهِ . اما آثار الرومان فلم تزل شاهدة على حولهم وبُعد نظرهم ولعلهم اتَّعظوا باليونان فاخذوا عنهم المستحسن ونبذوا المستهجن وسار وا سيرًا ذميلاً متخذين الثبات شعارًا فاستفادوا وافادوا رعاياهم واخصهم سكان البلدان المحاذية للبحر المتوسط فهدوهم الى طرق الارتزاق ودربوهم في فنون السياسة وتدبير الاحكام ولذا رسخت قدمهم ورست قواعد تمدنهم البادية آثارهُ حتَّى الآن ناهيك عما تداولهُ الالسن من كلامهم وتخطهُ الاقلام من اصطلاحاتهم التي لم تزل حتَّى يومنا هذا متزجة بلغة الهنود على عدوتي نهر الكنج

واختلف الرومان واليونان ايضًا من جهة الشرائع والقوانين والامتيازات ان كانت قابلة للتغيير او لا فذهب اليونان الى انها خاضعة للتغيير في كل الاحوال اما الرومان فلم يتطرقوا بل قالوا انها تتغير بتغير الازمان واحوال الامم واخلاقهم وعوائدهم ومتى اقرُّوا على تغييرها لا بدَّ من مراعاة كل هذه الامور معًا . ولما سارت عامتهم في سبيل التقدُّم تقدموا الى وضع حدود لامتيازات الخاصة لا يتخطونها وتقرير ادارة جمهوريَّة غايتها اسعاد الامة وتسوية افرادها في الحقوق فنجم عن ذلك اشتباك العامة والخاصة بحرب اهليَّة تأجَّجت نارها فناضلت هذه دفاعًا عما احرزتهُ من الامتيازات وضنَّت بتفريط شيء منها وجاهرت تلك بالعداوة طالبة محاصتها فيها او نزعها منها واو افضى الامر الى اعمال السلاح واراقة الدماء . على ان الفريقين لم يلبثا ان ادركا نتيجة هذه المثابذة الوخيمة وتقرَّر لديهما انها ربما تفضي الى اضمحلالها فلجأا الى تحكيم العدل بينهما وانسما بين الانقياد الى سلطان الحكومة ونزعا ما كان بينهما من دواعي البغضاء وجنحا الى الطمأنينة وكتبا على قلوبهما حب

الوطن من الايمان ولكن الحال لم تستمر على هذا المنوال زمنًا طويلاً اذ قام من بين الخاصة زعماء ضحوا نفوسهم اعلاء لشأنهم وشأن اخوانهم وخلفهم من انسالهم مَن امتازوا بمعرفة وحكمة فحذوا حذوهم وفازوا بما اوتوهُ من الدربة السياسيَّة فوزًا مبينًا فاستعادوا سابق مكانتهم وجلالة قدرهم وطمع بعض هؤلاء الزعماء مرارًا في الاستقلال والانفراد بالسلطة وحرمان زملائهم منها ومن جميع الامتيازات وليبلوغ ذلك راشوا سهام الفتنة واضرموا الحرب فاريقت الدماء ولكنهم خابوا سعيًا وضلوا سواء السبيل وادى سعيهم الى الفاء المقاليد عنوةً في ايدي القياصرة الذين تبوأوا التخت الروماني قرونًا متتابعة وساسوا المملكة مستبدين تارةً الى الحزم والتعقل واخرى منقادين الى الجهل والطياشة ومع ما انتهى اليهِ الرومانيون من التواني والانحطاط في داخليتهم فان جيوشهم لم تتخذل في جميع حروبهم على ان البلدان المحيطة بالبحر المتوسط الخاضعة لها حازت حينئذٍ قصب السبق عليها في العمران لخلوها من عوامل الفساد والقلاقل الداخليَّة التي كانت تتنازع تلك فتقدمت هذه البلدان وانحطت تلك الدولة العظيمة بعد ان مهدت سبيلاً للديانة المسيحيَّة التي نأتي على ذكرها بعد الالماع الى شيء من احوال العبرانيين

وغاية ما يعلم عن العبرانيين في الاعصر الخالية ان آباءهم كانوا مرتبطين مع الله بعهود ومواثيق ثم لما تخلصوا من عبوديَّة المصريين اتبعوا البداوة مهلة من الزمن ثم جنحوا الى الحضارة فانعكفوا اولاً على حراثة الارض وبناء المنازل ثم نشطوا الى التجارة وتفرقوا كالفينيقيين في الاقطار المعمورة سعيًا الى الرزق ولم تلههم التجارة والحراثة عن تلك العهود بل ازدادوا مع تقادم العهد بها استمساكًا وبشتملاتها تعلقًا فعظموا في اعين معاصريهم وارتفعت منزلتهم وبسقوط الدولة الرومانيَّة ارتفع شأنهم وذاع ايمانهم ثم ظهرت الديانة النصرانيَّة التي كان الرومان مهدوا سبيلها

وبينما كانت عوامل الانشقاق تتنازع المملكة الرومانيَّة في داخليتها كانت تقاسي الحروب الصعاب مع القبائل الجرمانيَّة التي زحفت اليها من الشمال وليس لدينا نبأ حقيقي عن هذه القبائل من حين جلائها عن موطنها الاصلي الى ظهورها في اوربا والمرجح انها كانت في سيرها منهكة عرضة لمناوشات بعض القبائل التي ضيقت عليها المسالك وحبستها مرارًا عن التقدُّم فلمَّت شعثها وضمت قوتها وابلت بلاء حسنًا دفاعًا عن بقائها وتقدمت الى ان بلغت الاصقاع الشماليَّة في اوربا فاحتلتها ومن بعد العيش على البان المواشي والقنص نزعت الى التقدُّم ورغبت عن عيشة البداوة واستبدلت المضارب والخيام بالبيوت والمنازل

المستقر شأن الحضر فنظم رجالها حلقات اخذوا اليها في اوقات البطالة واجتمعوا فيها يباحثون الخصم ويناظرون على الالقاب الحربيّة ويذكرون اخبارهم ويروون احاديثهم ويتنافسون بانشاء الاشعار الحماسية ومحافظوا على ما فطروا عليه من حب الحريّة وبذل نفوسهم ونفائسهم في سبيلها فقد ظهر من شدّة خضوعهم واكرامهم اصحاب الامتيازات وذوي المقاومات ما يشف عن عدم اهتمامهم بشأن المساواة. وللقبائل المذكورة ذكر في التاريخ لا يمحى لما انهم هم الذين حملوا على الامبراطوريّة الرومانيّة فقلوا عرشها وقوضوا اركان مجدها بعد أن كانت قبساً استضاء به التمدن في العالم القديم

وبعد اعتراف الامبراطوريّة الرومانيّة بالديانة المسيحيّة قلدت كثيرين من ذوي السلطة الروحيّة بعض المناصب السياسيّة الخطيرة وهؤلاء بنشاطهم وحزمهم انتشلوها مراراً من وهدة الانحطاط وفي ايامهم ساست السلطة الروحيّة الزمنيّة وارتفع شان الكنيسة فانتشرت سيادتها في الكور الشاليّة حيث اشادت البيع والاديرة وذراكر الاسقفيات ودرأ رجالها ايضاً هجمات البربر وحصروهم ضمن دائرة تعذّر عليهم ان يتخطوها ثم عمدوا الى استمالة تلك القبال بنشر التهذيب بين ظهرانيهم وتعليمهم مبادئ العلوم وبعض الصنائع والزراعة وطرق الاتجار فاستوثق لهم الامر وساروا في اوائل القرون الوسطى بلا منازع ولكن السعد لا يدوم لاحد ودوام الحال محال فبعد ارتفاعها الى العظمة رجلالة القدر عادت التهذيبي بفتورهم ارتيابها وتقاعدهم عن الاجتهاد في طلب العلم فضلاً عن انهم طلبوا ضم السلطة الزمنيّة الى السلطة الروحيّة وهو امر ابت الدولة التسليم به فاعترك الفريقان واصطدمت الحروب بينهما فلم يبهما النظر لامة منهما بل استمرّت سجالاً وقد كان يظن انها تدوم كذلك لولا ما نالته الدولة من الفوز على اثر حروبها في الخارج التي كانت من افضل الوسائل في امتزاج الامم المختلفة وازدياد المواصلات بينها وللحروب العلميّة شان يذكر في هذا التقدم اذ بها عرف الغربيون عوائد الشرقيين واستفادوا من ثروتهم ومعارفهم فاستفزتهم الغيرة الى منافستهم ومباراتهم

وفي غضون ذلك ظهر الاسلام واجتمع العرب الكرام تحت لوائه وتغلبوا في زمن قصير على قسم كبير من الامم المتمدنة واستفادوا من تمدنها ولم يقفوا عند الحد الذي وجدوه بل طلبوا ما وراءه فحسنوا فيه بقدر ما امتدت اليه عقولهم الثاقبة وغطوا مساوي اولئك الامم بمحاسنهم ولا غرو فانهم بيانيون فطرة ويمتازون عنهم بعصبية الدين

وسارت الامم من بعد ذلك سيراً حثيثاً راقية مراقي الكمال ولاسيما بعد الاكتشافات

المتعددة التي اكتشفها البرتغاليون واكتشاف اميركا الذي خلد الذكر لكولمبس ووجهوا همهم الى النظر في العلوم الرياضيَّة وتحريرها ووضعوا قواعد للعلوم الطبيعيَّة وغيرها واتاح الله لهم اكتشاف فن الطباعة وباكتشافه تدونت العلوم في اسفار أذيعت بين الناس وباذاعتها انفتحت للجمهور ابواب واسعة للانتقاد فنالوا بهِ الغاية التي يرومونها من رفع منار المعارف وبلوغهم من التمدن المقام الذي لم تبلغهُ الامم من قبلهم

وبشبوب الحروب الدينيَّة بين الكنيسة واهل الاصلاح ازدادت السلطة الزمنيَّة حولاً وطولاً ومالت الناس في ابانها الى البحث والتنقير واعتمدوا الانتقاد في جميع امورهم وقرَّروا اشياء كثيرة ومن بعض ما قرَّروهُ ان المملكة يجب ان تكون تابعة لاحوال الامة ونشاطها ونظامها الاهلي لا ان تنشبث بما رسمهُ لها التاريخ منذ القدم وان سياسة شؤونها يجب السير فيها وفقاً لمقتضيات الزمان مع مراعاة علاقاتها الخطيرة بالحوادث الغابرة وان السلطة ينتضي توزيعها واحالتها الى اشخاص كثيرة لانحصارها في فئة معلومة . على ان يكون لمن تلقى مقاليدها اليهم رادع يردعهم ان تطرقوا في اجراءاتهم وخيف ان ينفضي تصرفهم الى الحيف بالمصلحة العموميَّة . وقد تسامحوا بانشاء حكومات مستقلة لبعض الولايات اذا كانت مصلحتها تقتضيها واوجبوا مساعدتها لادراك مبتغياتها واسعاف كل فرد يعمل عملاً يعود بالنفع العام الى غير ذلك من الامور الجليلة التي تبلغها حتَّى الآن الامم المتمدنة واننا لنضيق ذرعاً بسرد فوائد الانتقاد في ادوار الحياة كافة ولذا نعتمد الايجاز بل التلميح في ذكر آثاره البيضاء في المباحث العلميَّة . فبعد ما اعملوا سمَّر الانتقاد في القضايا العلمية وسبروها بمسابره تقدموا تقدماً حقيقيًّا وتراموا بواسطتهِ الى اغراض بعيدة فاثبتوا اوليات وقواعد كليَّة ثبت عندهم ان النتائج لا تنال الاَّ براعاتها فشغلوا عليها مهتدين بنورها فنوعت مباحثهم وتعددت مذاهبهم وزادت اكتشافاتهم في علم الهيئة والكيمياء وبرعوا في الميكانيكيات فتوفرت لديهم الآلات وتنوعت وتحسنت الصناعة ايما تحسن فكثرت السلع واتسع نطاق التجارة

ومن هذا التلميح يعرف المقام العالي الذي صعدوهُ والدرجة التي رقوها في التقدم على انهُ لا بدَّ من ان يتبادر الى ذهن كل باحث وناقد بصير مسائل كليَّة الاهميَّة وهي هل تثبت قواعد هذا التمدن او تتزعزع فينالهُ ما نال تمدُّن الامم المتقدمة من الانحطاط وهل يتوقف فلاح الانسان بمجرد تفاد اسبابهِ الخارجيَّة وهل يختلف مجرى الاحوال في المستقبل عما عرفناهُ عن مجراها في الماضي وهل يعمُّ التمدن البسيطة كلها بلا تفاوت وهل تستوي

الافراد قدرًا بحيث يصيرون لا فاضل بينهم ولا مفضول وهل تحالف الامم بعضها بعضًا وتنضم جميعًا تحت لواء واحد. تلك مسائل اخال ان ليس من يجبر على الحكم فيها قطعيًا . اما من يتخذ الاستدلال دليلهُ ويستقري احوال التمدن في الزمن القديم والقرون الوسطى ويتأمل مليًا في تفرق الامم لعهدهم وصعوبة المواصلات بينهم يرجح ان تمدن العصر الحالي اثبت منهُ اساسًا واقوى على دفع ما ينازعهُ من العوامل ويحول دونهُ من العوائق لان الناس طرًّا قد استفاقوا من غفلتهم وعملوا على توفير اسباب الالفة والاخاء وتكثير العلاقات والمواصلات واحسان مجراها وما يضمن ثبانة تسلط الانسان على المادة وقواها وتقدمهُ الحقيقي في العلوم الطبيعيَّة كافَّة وتواصل الاكتشافات وانتشار التهذيب في جميع الامصار انتشارًا يكاد يكون على منهاج واحد فضلاً عن اننا امنون شر البربر الذين كانوا نقمة للسلف ولو قدّر ان البربريَّة فاجأت التمدن الحالي بخيلها ورجلها فلا نظنن منهُ بامنيَّة بل تعود بخفي حنين لان ابناء هذا العصر بعد ما علموهُ يقينًا من اسنباحتها ذمار اسلافهم ونهبها اموالهم وجعلها اياهم احدوثة سائرة وعظة زاجرة تأهبوا لمحاربتها فاعتصموا بحصون ترد الطرف كليلاً ولجأوا الى معاقل لا تنوى البربريَّة على دكها مهما اشتد حولها . ولكن مما ينبغي ان تورطنا هذه المنعة في الغرور وتحملنا على الاعتقاد يقينًا ان حريَّة الانسان اضحت مصونة من طوارق الاعتداء او ان حياة الامم صارت الى حال امنت معها نوازل الاستقبال ونكباتهِ بل يجب على العاقل ان يكون ابدًا يقظًا حاذرًا لئلا يؤخذ على غرة

هذا وقد اتينا على ذكر طرف من تاريخ الامم قاصدين بيان من تقدم منهم واسباب تقدمهم حتَّى عصرنا الحالي واذا استمر البشر سائرين في سبيل التقدم مسيرهم في هذا العصر بلغوا المنزلة التي ليس وراءها متزع لامنيَّة ولا فوقها مرتقى لحمة وتحققت الآمال باكتشافات خطيرة يتوقع انها تكون داعيًا لتيسير لوازم المعيشة وتغيير كثير من العوائد والواسطة لتقدم التجارة وازدياد الثروة واستخال العمارة ولله علم مستقبل الامور واليهِ المرجع والمصير

تحليل المواد الآلية

يستعمل الكيماويون اكسيد النحاس لتحليل المواد الآلية فتتوخ ايديهم نيهِ و يتعبون في استعمالهِ وقد استنبط المسيو برتلوت الكيماوي الفرنسوي اسلوبًا جديدًا لتحليل المواد الآلية وذلك بحرقها في الاكسجين المنضغط بخمسة وعشرين جلدًا . والتحليل على هذه الصورة كامل ويتم بلحظة من الزمان